

سمرَاء في إسطنبول رواية



تأليف
أنس السلحاني

رواية سمراء في إسطنبول

تأليف
أنس المسلماني

رواية: سمراء في إسطنبول

تأليف: أنس المسلماني

تصميم الغلاف: رائد المسلماني

مقدمة

أصبح الرحيل سهلاً للغاية!

هل لاحظ أحدكم ذلك؟

لكن لم يبحث أحدٌ منا عن السبب؛

لأنه لم يعد أحدٌ يهتم لأحد،

ولا يريد معرفة السبب أساساً

المهم أنه بخير...

لقد مررنا بعقدٍ من الزمن تفرد كل شخصٍ بروحه

خوفاً من الفناء،

خوفاً من الفقر،

خوفاً من الجوع،

خوفاً من الموت.

لقد كُنا وحيدين،

وكأنَّ الواحد منا يهاجمه العالم بأسره بخيباتٍ وانكساراتٍ

وفشلٍ وحنن،
 ولم يكُ معه أحدٌ يشاركه هذا الصراع.
 ومن كان يقف معه سابقاً...
 تركه الآن؛
 خوفاً من خسارة تلامس وجوده البشري
 أو تؤثر على بقاءه،
 وهي الغريزة التي قاتل الجميع عليها بوحشية
 كأننا في غابةٍ خاليةٍ من القوانين.
 في عشرة أعوامٍ وأكثر...
 فقد الواحد منّا ما لا يقلّ عن راحلين لا عودة لهما
 والبعض فقد كثيراً من الأشخاص في حياته،
 ولم يكُ له من يسانده سواهم.

هذا البؤس الذي كبل العلاقات بجميع أنواعها،
 وهذا الخوف الذي جتّب الأحياء من التعلّق بالآخرين
 وهذا الفقر والجوع اللذان عزّزا غريزة البقاء في كثيرٍ نسوا
 أنّ النفس البشرية بحاجةٍ للمعونة الاجتماعية.
 هذا الفقد الذي حطّم قلوب الجميع
 الفقد الذي علّم الجميع درساً جعلهم أشدّ من ضاربات

الغابة

علّمهم أنّك ستفارق من أحببت مساء الصباح
 فإن لم يحدث فستفارقه صباح المساء
 وإن لم يحدث ففي الغد سيحدث
 وإن لم يحدث في الغد فسيحدث بعد غد
 وإن لم يحدث فهو الموت لا محالة منه.
 ستتحمّط وتنكسر وتعبي وتعاني وتُشلّ لفقد أحدهم
 وكأنّه العصب في جسدك.. ومات.
 فلم ستتحمّل أعباء الوفاء ودراما العلاقات الاجتماعية
 واختراع المبررات والأعذار وكسب الودّ دون مادةٍ
 مقايضةٍ لهذه الأشياء تُكسبها؟

لم تحزن لظلمك له في خلافٍ ما اختلفتما فيه أو لظرفٍ
 أصابه لم يكن فيه بخير؟

هذا هو المبدأ الذي تجذّر في ذوات الناس
 إلى أن صارت الناس بهذا البرود الاجتماعي.

لم يعد هنالك أمانٌ يا أصدقائي

آسف لأنتي قلت لكم "أصدقائي!"

لم آسف؟

لم أخطئ بحدثكم!

لكننا أصبحنا جميعنا غرباء...



"هكذا تولد الكلمات. أدربُ قلبي
على الحب كي يَسَعِ الورد والشوك
صوفيَّةٌ مفرداتي. وحسيَّةٌ رغباتي
ولستُ أنا من أنا الآن إلا
إذا التقتِ الاثنتان
أنا، وأنا الأثنويَّةُ"

—محمود درويش—

شكر

إلى الدمشقية الصغيرة التي قالت لي ذات يوم:
 "الكلمات شاهدةٌ يوم القيامة على صاحبها، إنك تمتلك
 موهبة فذة في جذب القارئ إلى ما تكتبه، لكن ما تكتبه
 لا نفع منه، فاختر حروف مؤلفاتك بعناية، اكتب ما يجب
 أن تكتبه كسليمٍ يجاهد بقلمه، وستصبح ذا نفعٍ للإسلام
 وشهرةً."

إلى الزميلة التي كانت بوصلتي الأولى في مسيرتي الأدبية
 وأرشدتني إلى الطريق الصحيح
 مؤلفة كتاب "لعلهم يتفكرون"
 إلى "أزيل" التي لا تحب القراءة

اعتقاد

الساعة الرابعة وسبع وأربعون
 بعد منتصف الليل وقبل أذان الفجر
 إنه يوم الأحد الكئيب،
 مع أنني لا أتشاءم من أسماء الأيام
 ولا أبتهج لأحدها
 لكنه يومٌ استُفتح بك بعد يومٍ كاملٍ من تذكرك
 لم تك تلك العملية إرادية
 كانت عبارةً عن أشباهٍ ومواقع زرتها معاً
 وأشياء جميلةً أخرى رأيتها
 رأيتها كما حدثت في الماضي
 وربما كما أراد أحدنا إحداثها منذ عامين ونصف
 يا إلهي!
 لا أزال أحفظ بعض التواريخ في رأسي

كأنني حاسبٌ لا يزال يحتفظ برقم إصداره بعد فرمته
وهذه المرة لا علاقة لفصل الشتاء

— كما يزعم بعض المتوهّمين في الحب —

في استرجاع الذكريات

كل ما في الأمر أنني لم أنس بشكلٍ صحيح

أو أنّ تخاطرنا لم ينته بعد

كيف ذلك؟

لم نك يوماً نهوى أشياء مشتركة تجذب أحداً إلى أبد

الآخر

لم نك إلا طيشاً في مرحلة اللاوعي

أو ربما كنا نبحت عن الوعي في مكانٍ خاطئٍ

فأحببنا الأغاني التي لم نحب يوماً سماعها

على أمل أن يجب أحداً الآخر

وأثبتنا عاداتنا في المقاهي

على أمل أن يملأ أحداً عين الآخر

وتباهينا بمواهبننا

على أمل أن يسحر أحداً الآخر

وتثبتنا بآرائنا

على أمل أن يجذب أحداً الآخر

وما النتيجة النهائية؟
 لم ننجذب ولم نسحر ولم يملأ أحد عين أحد،
 لم يتحقق أمل أحد في أحد؛
 لأنه لا شيء يدوم دون عقيدة راسخة
 حتى لو تظاهر أحدهم بالدفاع عنها مستميتاً
 سيأتي صباحٌ يحولُ إلى مساء الحقيقة

ولكن!

ربما أحدنا أحبَّ أحدنا الثاني

ربما!

ولم لم يؤكِّد على ذلك حتى النهاية؟

فكلانا مسلمٌ

وكلانا فتانٌ

وكلانا حالمٌ

أم أنّ العقائد الفكرية هي السبب؟

أظنّ ذلك!

فلكلِّ له في الإسلام نظرتَه ومبرراته لأخطائه

ولا أحد يحاسب الآخر في إيمانه؛

لأنه نسبيٌّ ولله،

أما الظاهر فهو للبشر
الذين تغريهم العيون بما يخفى عن القلوب.

كنت تبررين تحركك من اللباس الإسلامي

باسم "السلام الداخلي"

وأن الإسلام في القلب

ولكل أمر ما نوى،

وأحاديث الرجال والاختلاط معهم كانا

في معتقدك الخاص—

أمران حياتيان روتينيان،

ولا يجدر بالمرء تشويه القدر إن فعل عكس ذلك،

فهي الحياة التي فرضها الله علينا

وعلينا الالتزام بها

المهم هو...

في منطقتك—

السلام وراحة القلب والإيمان بالله!



المتعصب

سأخبرك أشياء كثيرةً اليوم
ستقرأينها كما قرأتِ أول كتابٍ أنشأتهُ لغيرك
رسائل زرقاء

وأعجبكِ وحاولتِ أن تعودي بعد قراءته إلى محادثتي،
أو إلى استثارة عواطفِي برسالتكِ غير المباشرة
لأعود إلى محادثتكِ
سأقول لك أن إبليس حينما طُرِدَ من الجنة
قال لربه عزَّ وجلَّ

﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ [سورة ص: 82]

لقد كان يؤمن بالله
مع أنه كان جاحداً به لما حلف بعهدة الله
لقد كان يؤمن
لكنه لا يطيع!
تماماً كما فعلتِ حينما رفضتِ الحجاب.

صحيح!

ذكرتني بقصة الحجاب...

لقد كانت مفصل انفصالنا

ولم أذكرها في المقدمة

لكن سأحاول ألا أنسى شيء

فيوم السبت كان مليئاً بكِ

مليئاً لدرجةٍ لا يطاق فيها النظر إلى السماء

خشية أن أرى رسماً من الغيوم يذكرني بمزيدٍ منك.

لنعد إلى موضوعنا أولاً أستطرد بكثيرٍ من الأحاديث

كما كنت أفعل في أحاديث المقاهي سابقاً

الحجاب الذي هو فرضٌ على كلِّ مسلمة

لم تفضيه على نفسكِ

وكان دفاعك عن رأيكِ _ اللامنطقي _

هو "القناعة"

"لا يمكنني أن أقنع به،

فأمي وأختي وخالاتي لا يضعنه،
 كانت جدتي تضع الحجاب،
 وعمّاتي يضعن الحجاب،
 وجدّتي رحمها الله كانت تضع الحجاب،
 أما أنا فمن الصعب جداً أن أضعه، أختنق منه"

"أختنق منه"؟

لم أسمع من أنتى قبلكِ تقول أنني أختنق من الحجاب
 ألم يخبرك أحدٌ من قبل أنه قماش وليس حبل مشنقة!

لقد كنتُ في نظركِ متعصّباً يحاول التحرّر
 "التعصّب"

الكلمة البغيضة التي اختلقتها القوى العظمى على كوكب
 الأرض؛

لتنفي أي حالة انحيازٍ إسلاميةٍ وتُبطلها بمظهر الكلمة هذه
 وكأنّها دليلٌ على استخدام المعتقد دون العقل والإنصاع
 له من دون تفكير.

لم يعلموا أنّ المسلم الحقيقي هو الذي أسلم بعد أن أكثر
 التفكير

فوجد الخير في الأحكام الشرعية
 ووجد الله في كلِّ مكانٍ وزمانٍ ومخلوق

﴿إِذَا سُوِّتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾

[سورة الحجر: 29]

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية: 13]

الإسلام أعظم من كل تلك الاتهامات التي يرمونها إليه

بداعي التكفير البطيء للمسلمين

وأصابت تسميتهم أفكار كثيرين من أمثالك

فارتددت دون أن تدري

هذا مفصل الفراق بيننا

بقيت محاولاً إصلاح أفكارك هذه

لكن النتيجة؟

هي الغوص في الخطأ ذاته مرةً أخرى

كأنَّ ما كنتِ تفعلينه هو عمْدُ منك

لتخبريني بالأقرب أكثر

بالأيجرح أحدا الآخر من دون قصد

لكن سرعان ما تحوّل التصح إلى حبّ

آه!

تباً للدراما!

كلما حاولت الابتعاد عن هذه الكلمة أعادتني المفردات إليها

وكأنّها محور اللغة وأمّ اللسان!

المهم...

لم نستطع الابتعاد أو الاقتراب في آنٍ معاً

كلانا كان سرطانياً يعرف كيف يفكر الآخر

وكلانا كان مزاجياً يعرف كيف يُسعدُ الآخر

وأجمل شيء!

هو الصّمت!

كنا نعلم تمام العلم أنّ الصّمت هو حديث السرطانيين

عندما يكونون في حالة حبّ

وهو حديثهم عندما يكونون في حالة حزنٍ أو اكتئابٍ أو

تفكير

لكّتي لم أفكر كما يفكر باقي ذكور السرطان

لم أفكر في ملاستك ولو عن طريق الخطأ
 لقد كنتُ كما أسميتني يوماً _متعصباً_
 وبقيتُ وسأبقى كذلك.



اعتراف

عذرية الحب تنتهي عند استشفاف أول قطرة عسلٍ من
 فم المعنيِّ بالحبِّ
 تنتهي حينما يكون الحبُّ ينبض من بين قلمي العاشق
 لا من قلبه
 ولم أكن أحبُّ النهايات
 كنتُ آملُ أن أبقى في البداية حتى النهاية
 كنتُ أكتبُ لك الكثير من القصائد
 ولقد فازت إحداهن بالمركز الخامس في مسابقة إلكترونية
 شارك فيها ما يزيد عن ألف ومئة شخص
 لم تكُ الكلمات هي من سحرت لجنة التحكيم
 بل أنتِ من فعل ذلك.

"حسناً سمراء أحببت سواد عينيها
 ملكت ابتسامه أخفت اللؤلؤ خلف شفيتها
 ولما بانث مباسمها
 كأنها النجم في ليل داجها
 وغدا الصبح من بعدها باكياً
 لم يحظَ بلحظةٍ يلاقيا
 تفطرت أشواقى وآلمتني..
 روائح من شدى ربحها
 تعلقت بعضها بدفاتري
 عندما أمسكتها بيديها
 فرحت أشتها كمخدرٍ لحين موعده
 ريثما فيه الأقيها

ها قد لآح الحب بكلمي لما ذكرت معانيها

وبات الغرام لي وطناً يسكنني في ضواحيها

وما هو إلا لقاءٌ غير حياتي عن مجاريها

وصيرني ولهان سمرءٍ أراني معنى الحياة فيها

شغوفاً بكلّ هدوءٍ ترمي الأحزان بناظرها

جرينته بكلّ لطفٍ كثرته طريته عمّر التخل عليها

جماعةً لكلّ تفرّقٍ كالأرض في مشرقها ومغربها

أما إني غريقٌ بكلّ لطفٍ لا أطلب النجاة من عشقها!

وإني محروقٌ بلا نارٍ أتلظى في سوادها!

عجبتُ من حالي وساءلتنني نفسي نفسها:

أما كنت في الأمس صائماً، فكيف أفطرت عليها؟

فأجبتها: يا نفس إني بين النفوس سواؤها

أضلّ بغفلةٍ مني وأهتدي بلمسةٍ من يديها

فَمَا أَنَا بِمَفْطَرٍ يَا عَزِيزَتِي، إِنَّمَا صَائِمٌ عَنْ غَيْرِهَا

عند سحوري لصومي لها أمسك عن النساء وأنويها

وأغص طرفي دونها، رب غفلة مّي لم أفطر عليها

فأتابع صومي إلى وقت إفطاري، ثم أدعو فيها

حسناً سمراء أفطرنى سواد عينيها"

حتى أنتِ بكيتِ لما قرأتها

أذكر ذلك تماماً حينما قررتُ أن أعترف لكِ في اتحاد

الفنانين التشكيليين

واتخذتُ من النثر وسيلةً لإخبارك

كنتُ أنتظرُ لساعتين إلى حين موعدنا
فكنتُ للانتظار:

"في ساعتين من الانتظار
شعرتُ بأنني ذاهبٌ إلى الخلاص
المنفى الأخير من حياتي
شعرتُ بأنني مقاتلٌ راحلٌ إلى حربٍ
فجهزتُ للقاءِ معدّاتي
آثرتُكِ عن الناس في صلاتي
وخصّصتُ لكِ دعواتي
أصبحتُ أكثر تعلقاً بالحياة بعد زُهدي
وانفجر في داخلي بركان ثوراتي

في ساعتين من الانتظار
 تبدد اليأس مئي إلى الأزل
 إن ظلّ اللقاء دائماً ظلّ الأمل
 أنت التي ضاع فيها الغزل
 فلم تكن الكلمات تؤدي الوصل
 حيرانه في وصف ما حصل
 في داخلي من أمشاج العُصل

في ساعتين من الانتظار
 ضاق الوقت وضاع الخبر
 وارتطم الحُسّ وغرق البحر
 زاد الذعر وازداد الأسر
 فاض الشوق وبان التّخدر

عَدَّتِ الدَّقَاتُ كسوراً تُجْبَرُ
والمرج لآخ بالعودة إلى الأخضر

في ساعتين من الانتظار
علمتُ بأنني سأكون شهيدك
إن شهدتُ السفرَ دونك
إن غاب عني طرفك
إن ذابت وذبلت وجنتك
إن مات الوصل بين يدي ويدك
إن انقطع الصدى في صوتك
إن تناثر من حولي ریح عطرك

هذا ما حصل لي..

في ساعتين من الانتظار"

ولما حلّ اللقاء قرأتِ بضع ما كتبتَه لكِ
 لأنّ قلبك لم يحتمل المزيد
 وقلبي لم يتوقّف عن الكتابة.

"لبيك في كلّ حضراتي

لبيك في دعاء صلواتي

إِنَّ الغرامَ والهيامَ ليس لسواكِ

لا شريكَ لكِ في قصيداتي

يا كعبة قلبي إذا خفقَ

وانفطرَ بناظريكِ وانشقَّ

أطوفُ حول سماركِ الذي برقَ

فيه الجمال كلما تآلق

يا صفوأي ومروأي في أقرب مسعى

لني طوؤف بين يديك أسعى

لرضاك وإن كنت غير قادر أنعى

فبالموت لأجله تكتب أجمل نعوة

يا قبلة العاشقين إنني قادم إليك

أصلي في محراب قلبك ووجنتيك

خاشعاً لا أشعر إلا براحتيك

زيديني تواضعاً كلما لاحت مقلتيك

وتقبلي مني أناشيدي

وأطري عليها ليكون عيدي

وزيدي ليزداد فيضي

من كليم الشعرِ والأناشيدِ"

" حسانء سمراء أعجبنى سواد عينها

أمسكت أوراق قصائدي بيديها

فتعلقَ فيها شيءٌ من عطرها

فأهدتني قصائدي كأني ألتقيها

عشقتُ أوراقِي ومارسْتُ العشقَ فيها

كأنها حرمةٌ عن غيري فلا أفتديها

أعانقها قبل نومي مُدارياً طيباً

وخصّصتُ لها وسادةً وغطاءً يُعطيها

أعادتني مرافقاً من جديدٍ لأحييها

في قلبي، كأنها تربة تزرعني فيها

أنا الزارع والمزروع من كد يديها

أنا العاشق والمعشوق بدقائق أقتنيها

أنا الثَّمَل العاقل في حضرة مقلتيها

هي الرّزّانة والطّيش والعوالم جميعها

هي الهدوء والصّخب مجتمعان في معاليها

هي الشّغف المرغوب لحياةٍ هي فيها

ليت لي دقائق أخرى لأكتب معلقته فيها"

لكن لا جدوى من كل هذه الأفلام الهندية

بكِتٍ قليلاً ووضعت بعض أوراق الشجر خلفية هاتفي

شَّمَّ ابْتَسَمَتْ ابْتِسَامَةً مَدْمُوعَةً

وَدَفَعَتْ فَاتُورَةً ثَمَّنَ فَنجَانَ الْقَهْوَةَ وَمَشْرُوبَكَ الْغَازِي

وَمَضَى الْوَقْتَ صَامِتًا

لَمْ يَعْترِفْ أَحَدًا...

وَلَمْ يَتَغَيَّرْ شَيْءٌ

كَأَنَّ اعْتِرَافِي كَانَ بَدَايَةَ النِّهَايَةِ



شكراً للفقير

لقد أخطأت في تشبيه الحبّ بالعبادة
لقد كنت أظنّ بأنّ تمام الإيمان هو المحبة
_ هذا أمرٌ ثابتٌ حقاً _

لكّتي المخطئ في نوع المحبة التي اخترتها
إنّ كلّ ما كان ممّي هو تلبية غريزة (الأنا) وهوايةٌ إضاعة
الوقت

لكنتي فهمت ذلك متأخراً
متأخراً جداً!

لكن لا بأس في ذلك الوقت!

ما دام صديقي (ع.ر.خ) بقربي
يعلم تمام القصة وتفصيلها

_ سبحان الله! مع كلّ هذا الخطأ الذي ارتكبته؛ وهو
خطأ العبادة بحبّ الشهوة،

كان الله بقربي دون أن أشعر برحمته حينها _

ليتني سمعت كلامه منذ البداية عندما أخبرني:

"اتركها لترحل،

فحبها ليس صادقاً،

إنها تبحث عن البرواز لصورة نفسها،

وأنت لست المعني غير أنك كاتب".

لم أكن بروازك المفضل!

"تباً للفقر!"

رددتها مراراً بمرارة

لم أكن أعلم معنى الفقر الحقيقي في ذلك الوقت

كان المال هو كل شيء بالنسبة لي في الحياة

لأجد بعد ذلك أن "الفقر الحقيقي هو فقر الروح إلى الله

وأنّ الغنى الحقيقي هو أن تستغني عن الكون بالله"

كم كلفني استخراج هذه النظرية من ألم

حتى وجدتها!

وجدتها بقناعة وإيمانٍ راسخين

و "شكراً للفقر!" في ذلك الوقت

أنا ممتنٌّ له باعتذارٍ شديد،
لفضلٍ يغمرني إلى الآن

ماذا لو لم يكن هو المفصل الثاني الذي فرّقنا!
فأنا متمسكٌ بالمفصل الأول
ولم يحزني الرحيل لو كان كذلك
وأنت متمسكةٌ بالمفصل الثاني
وكان يحزني الرحيل حين ذاك
"كان يحزني!"



لو!

تخيلتُ مرةً لو أنّ والدي يعلم بما أفعلهُ سرّاً معك؛
وهو الخروج والتسكّع في المقاهي والطرقات
وكأنّ لا أحد غيرنا موجودٌ على هذا الكوكب
فوالدي "متعصّب" أكثر ممّي كما لو قسنا الغيرة عنده
مقارنةً بغيرتي والتزامي العقائدي
ولو أطلقنا عليها الاسم الذي تطلقينه أنتِ وأمثالكِ على
هذه الفئة من الأشخاص المماثلين لي لكان "متشددًا"
كان مجرّد التفكير في الأمر يبعث في قلبي روح الكتابة

" يقول: يا وادي مالك بالسمراء تهيّم؟

وكلُّ مَعْلَمٍ فِيهَا مِنَ الْجَمَالِ يَتِيمٌ
 أما رأيتِ حمراءَ الحدودِ كيفَ مَبْسُمُهَا؟!
 شقراءُ تشرُحُ الصِّدرَ لمن كانَ كَظِيمٌ

فقلتُ بنبرةِ المعتوهِ السِّكرانِ:
 دعني عنكَ وعن الشِّقراءِ لثواني
 واسمعَ حديثي عن السِّمراءِ بلساني
 إنَّها سوادُ اللَّيلِ المونِّسُ لشيطاني
 إنَّها جِزِيَّةُ الذَّنْبِ العَظِيمِ لسلطاني
 إنَّها الزَّمَنُ الموقوفُ عليه زماني
 إنَّها خِزَّةٌ في مدخلِ شرياني
 إنَّها التَّقَطَّةُ الأخيرةُ في أسطرِ أيامي
 إنَّها المعنى الأخيرُ لتلك المعاني
 فلا تُعدِ حديثك عنها ولا تسلُ

عن بالي فيها إذا قُطِعَ الأملُ

دع الأقدارَ تمضي بلا نجلٍ

دع الرياحَ تسري لأعالي الجبلِ

فلربما استوقفتها صخرةٌ على عجلٍ

وهوَّثَ صِغارَ الحصى لما حصلَ

وأكونُ قد طهرتُ نفسي بالأجلِ

فالموتُ بالسَّمرِءِ أمرٌ مُحتمَلُ

يتنهدُّ الوالدُ ويقول: أنتَ هذا؟!

أأنتَ مَنْ أرادَ إلى الجمالِ ملاذا؟

أنصِفِ قراركَ لعلَّكَ أخطأتَ اتِّخاذًا

فما المنطقُ في شيطانكَ وغير هذا؟

يا أبتى أين المنطق في الغرام؟
 فالحب إذا طغى أحلّ الحرام
 هذي الوجوه تمضي رغداً في الزحام
 وتجوّب أستار العشق بالتزام
 لم أك لأخطئ في مصيبي كالأنام
 سوى أنني أقود متهوراً بلا حزام
 ورغم ذلك لم أخطئ كالأنام
 فقد اعتدت التهور دون ارتظام

كفناك يا ولدي لقد علّنتني بكلامك
 امض حيث شدت فإناك في النهاية هالك
 لكن اعلم أنّ للحب حُرمة وللحرم مناسك
 فلا تجحد في حبها فيزول بعد الجحد ذلك
 واصبر لحكم ربك إن كنت في يوم مفارق

كان نتاجي هذا من كلمة واحدة اخترقت أفكارني
لو!



الجوكر الشرقي

أجمل شيءٍ كان يصيبنني في ذلك الوقت
هو أنتي لم أكن أبكي كما يبكي المعافون نفسياً
فقد مرّت بي مدّة من الزمن جعلتني كـ (الجوكر)
_ مصاباً بالبصلي الكاذب _

ذلك المهرج السّفاح الذي يضحك وهو يقتل الآخرين
ومع إعجابي الكبير بشخصية (الجوكر)!
والممثلين القائمين بأداء دور هذا الشخص المختل عقلياً
والمضطرب نفسياً!
إلا أنّي لم أصل إلى جوابٍ واضحٍ في أسباب شدوذه عن
الاجتمع كتمثيل،
وسيطرته على العقول الشابة في عصرنا الحالي
بأنه المظلوم وأنّ ما يقوم به هو حقٌّ تامٌّ له!
وأنه الآن هو البطل المهيم على السينما والأفلام العالمية

والحائز على جوائز عدة!

بعدهما كان في مطلع عام 1989م الشخص السيئ الدين
المؤذي والمدمر للمجتمع والمفسد فيه،
وكان (باتمان) في ذلك الوقت
هو البطل الذي يشغل تفكيرنا والذي نعلم أن نصبح
مثله.

حتى أن (الجوكر) كان سبب وجوده في تلك الحقبة
الزمنية هو بعض المركبات الكيميائية التي حولته من إنسانٍ
طبيعي إلى مختلٍ عقليٍّ
يسفك ويقتل ويسرق ويفجر ويضحك
من دون أيّ سببٍ يدعو للضحك؛
بسبب المواد الكيميائية الخاطئة.
كثنا نؤمن أنّ (باتمان) هو الشخص المثالي والبطل الحقيقي
وأنّ (الجوكر) هو شخصٌ يستحق القضاء عليه.

الآن في عصرنا الحالي تغيرت نظرتنا ومشاعرنا تجاه هذا
السفاح (الجوكر)
وأصبحنا نمجد مرضه النفسي وتجذره المجتمعي
وأنّ ما يقوم به لا يدعو للخوف أو القلق

بل علينا أن نتصرف مثله لنحظى بالحياة السعيدة؛
لأن سوء المعاملة في العمل...
وارتفاع التكاليف العلاجية والغذائية...
والمشاكل الأسرية...
والمزيد من الأسباب اجتمعوا على طيبة هذا الرجل؛
ما دفعه للتمرد على كل شيء.
لقد تغيّرت مشاعرنا وإيماننا
وصرنا نبذ (باتمان) ونعتبره المفسد الحقيقي للسعادة؛
بتدخله في المجتمع وادعائه أنه المصلح والخير فيه.
حتى (الأفلام) أصبحت تعرض (باتمان) في الوقت
الحاضر...
الرجل الضعيف الذي لا يقوى على المشي حتى
دون التكنولوجيا.

وأرتأي أنه سيتم عرض (باتمان) في السنين القادمة على
نحو خاسرٍ كبيرٍ في مواجهته ل(الجوكر)،
وأنّ الساحة الإجرامية والمجتمعية ستكون في يد (الجوكر).

لو نظرنا في منطقيّة وجدّيّة بعيداً عن روعة القصة

وأدائها،

سنجد أن جميعنا نحن (الجوكر)؛

أي أننا جميعًا نتعرض لكل ما تعرض له (الجوكر)،

بل بعضنا تجاوزه بكثير من الأزمات،

سنجد أننا الهدف من هذه الأفلام

نحن ومجتمعاتنا وشبابنا وفتياتنا

بالحثِّ على العيش البربري والفكر الماركسي الشيوعي

الذي يقول أنه

"يجق لك كل شيءٍ من دون ضوابط تمنعك"

خلف تلك الشخصية البائسة.

وبالنظر من جهةٍ أخرى لقصة (الجوكر)

سنجد أن الحلول التي استخدمها هي الأمثل للتخلص

التام من كل المنغصات الحياتية؛

للعيش حياةً هنيئةً مهما فشلت أو توقفت

ستتابع حياتك من دون توقف.

الخطأ بين المنطق والغريزة أنتج اضطرابًا في مجتمعاتنا

وخاصةً في الفئة المنتجة التي يجب أن تكون أكثر اتزانًا

وحكمة للنهضة بالمجتمعات.

فهل (الجوكر) شخص يستحق النفي؟
أم أنه نتاج مجتمعاتنا البالية وراح ضحيتها مع المزيد من
ضحايا المجتمع التي نراها في حياتنا اليومية؟

لقد كنت أضحك وأنا أقتل روحي
لقد كنت أبكي ضحكاً هستيرياً يصيبك بالخوف
تذكرين ذلك؟ صحيح؟

قرب المشفى العمالي على جسرٍ صغير
في لحظة الوداع الأخيرة
- "لا يمكنني ان أكون حبيبةً لأحد
فأنا صعبة التغيير، ولن أرتدي حجاباً دون قناعة
لا تكُ شرقياً وتسجنني في لباس الشرقيات
أريد أن أكون حرّة من كل القيود."

"الشرق"

النوع الثاني من أنواع الفصل الطبقي للعالم

"شرقي" "آسيوي" "أوروبي"

يُطلقون عليهم أسماء وألقاب لزيادة تفرقاتهم
وكلّ مسمّى من هؤلاء الثلاثة فيه تصنيفات وطبقات
ومذاهب وأديان وطوائف وجماعات وقبائل وأحزاب
واتجاهات ومعتقدات وعقائد و...
وما الحاجة من كل هذا التقسيم؟
بساطة... سهولة القضاء عليهم واحداً تلو الآخر

"فَرَّقَ تَسُدُّ"

ولماذا أكبر الضغوطات والحروب الباردة الخفية تُشنّ ضد
الشرقيين؟
لأنهم كانوا أسياد الأرض في العصور الوسطى
إلى أن أحكم الغرب سطوتهم على الأراضي العربية بعد
عدد من الثورات العالمية
فأوهمو العرب أنهم تحرّروا من بطش حكماهم

في بعض الأحيان تجد أنّ الثورات التي تحدث في العالم
ما هي إلا خياناتٌ ببروازٍ أصيلٍ فدائيٍّ ورسامٍ وهميٍّ
يدعى "الحرية" —

وبعد ذلك أحكم اليهود سطوتهم على رؤساء الغرب
وأصبح بذلك العالم يسير بطيئاً

لألا يُلاحظ أحد اتجاهه _

نحو أهداف اليهود وغاياتهم
"من لم يكن يهودياً فهو من الغوييم"

وبما أنّي ومع رؤيتك لغيرتي "الشرقية" على أنّها شيءٌ
سيءٌ
أردتُ أن أجيبك بجوابٍ يُعلمك حقّ العلم أنّك كنتِ
مخطئةً في نظرتك المشوهة عن "الرجال الشرقية"



أبكي بقهقهتي

جاءك ردّي كمكعباتٍ من الثلج حينها،
 فقد بدأت يدالك ترتجفان بعدما أنهيتُ كلامي.
 - "لا ترتديه دون قناعه، فلن أثق بك لو ارتديته
 لأجلي،
 فكما ستفعلين أشياء من أجلي ظاهرةً دون صدقٍ باطني
 في قلبك
 ستفعلين ذلك لشخصٍ تعجبين به من بعدي
 فتتظاهرين له كما يُجب
 وستخلعيه عند أول مطب، فتسيئين إليه قبل أن
 تسيئي إلي.
 اللعنة علي إن كنت سأسبيء يوماً إلى عزة الحجاب!
 وإن كنت تربيته قيداً بأسرك، فقومي وتحزري من بنطالك
 الجهنزي وكنزتك (البوي فريند) البيضاء،
 وإن شعرتِ بالقييد بعد

فاخلمي ما تبقى من ملابسك لتكوني طليقة."

هنا كانت صعقتك مّي
فقد فهمت كل حرفٍ قصده
لكن كبرياءك منعك من أن تؤمني بعقيدتي
فرحتِ تستخدمين سلاح النساء الخاص
الذي يغضبني أكثر من أن أغضب لستم أحدهم لي؛
لأنه نوعٌ من أنواع الكذب التي لا أتأثر بها
نظراً لمرضي التّفسي في ذلك الوقت
وبدا سيل الدموع ينهمر على وجنتيك الخمريتين

ما أروعك وأنتِ تبكين!
تمنيثٌ لو كان بإمكانني أن أغرق داخل دمعَةٍ
لأتحسس وجنتك بهدوءٍ ومرح
تمنيثٌ أن ألتحم بكِ
لعلني أستطيع تغيير نظرتي للعالم
بعينيك الخنجريتين
ربما يكون العالم أكبر بالألوانِ مغايرةً للألوان التي أراها
ربما يكون هناك نظرية طردٍ في حجم العين

فأرى الأشياء أصغر:

القمر نجماً؟

الشمس مصباحاً؟

السيارات مكعبات صغيرة؟

الأبراج أكواخ؟

ربما!

لكن النظرية المتفق عليها

هي أنّ عينك جميلتان!

جميلتان إلى درجة أنّي لا أستطيع استكمال النظر إلى

مجرى دمعتك السائغة على وجنتك المحملية

فأشحتُ وجهي لئلا أعتذر عمّا قلت لتوّي

فهذا الجمال الذي دائماً ما يسحرني

لا يستطيع فكّ تعويذة الإيمان المعقودة على قلبي

تجاه الدين والعقيدة والعرب ومحاربة فرسان الهيكل

إنّها أشدّ من ألف سحرٍ وسحر

كأنها حصي من حجرٍ مقدّسٍ من كنوز النبي سليمان المخفية

والحمد لله على ذلك!

ولمّا انتهيت من تمثيلك المعتاد تملّكني الشعور بالحزن

لم أكُ أريد رحيلك

ولم أكُ أريد إعراضك

وحدث الاثنان معاً

قلبي يخبرني بأن أعتذر منك

ثم أستسمحك

ثم أصبح خاتماً في إصبعك

وعقلي يريدني أن أمشي

وأتركك لوحداً

دون أن ألتفت إلى الدمار الذي خلّفته ورائي

وأمضي دون تأنيب؛

لأني على الرشد،

فاشتدّ بي الألم إلى حدّ لا يطاق

وانفجرتُ ضحكاً.

كانت معالم الخوف على وجهك لا يمكن إخفاؤها

فأنت تعلمين بمرضي

تعلمين أنني لا أستطيع البكاء

وأنني حينما أضحكُ في مثل هذه المواقف

أكون في الحقيقة أبكي

لقد خِفْتُ عليكِ
 لكنني لم أستطع التوقف عن الضحك
 فكلمًا خفّت زاد قلقي عليكِ
 وارتفع صوتي ضحكاً مع كلّ شيءٍ سلبي
 لقد أمسكتِ ساعدي للمرة الأولى
 وترجيتني أن أتوقف عن الضحك
 لم تستطعي قبل هذا الموقف الإمساك بأيّ شيءٍ ممّي
 فقد عوّدتك على الإمساك بالحقائب الظهرية
 عند قطع الشارع
 وعند النزول في المنحدرات
 عند الخوض في الازدحام
 عند التسكع في الطرقات
 عند اللحظات التي تُشعلها العاطفة
 كانت أكبر حركة رومنسية تستطيعين القيام بها
 هي أن تمسكي إحدى حمّالات حقيبة ظهري وتشديها
 إليك
 في اللحظة التي لامست فيها راحةً يدك ساعدي
 انتفضتُ وسحبتُ يدي كأنّ أحداً سيسرقها

وقد شعرت بذلك حقاً!
 شعرت أنّها تنسلُّ من جسدي
 لقد كان ساعدي يحترق
 من فرط حرارة راحة يدك
 فلم ألمس أجنيبةً من قبل

اللعة على الشيطان!

لقد مرّ شريطٌ سريعٌ في ذهني عن الأحداث التالية
 لإمساكك بيدي
 شريطٌ فيديو تمّ تحميله من موقعٍ إباحي
 ونحن أبطالُ أحداثه

ارتعش جسدي!
 اقشعر بدني!
 اشتعلتُ النار في يدي!
 وامتد اللهب إلى سائر أعضائي!
 بدأت أشعر بالاختناق!
 دُوارٌ خفيفٌ يُصيب رأسي!

قدمان باردتان متجمدتان في نهاية تموز على غفلة!

كلّ هذا التّخبط في ثلاث ثوانٍ!

يا إلهي!

ازداد قلقي وارتفع صوت ضحكي

تّباً لنفسي!

أريد أن أعبّر عن ذاتي

لكّني لا أستطيع

فالبصلي الكاذب يدغدغ نواة دماغي

كما أنه يضرب فصوصه وخلاياه.

وأستمر في مقاومة الضحك لاستخراج ما قلته لك بعد

تعب:

- "لقد عبّرت عن حزنك بالطريقة التي تستطيعين بها

التعبير

دعيني أبكي بتهتهتي".

- "أرجوك! توقف! كرمي لله!".

- "لو كنت تعرفينه حقاً لما وصلنا إلى هنا".

وانتهتْ دراما العاشقين
أو كما ظننْتُ.

أخذتُ نفساً عميقاً
زفرتُ بقوةٍ وأطلقتُ تهيدةً بذات القوة

- "هل يوجد شيءٌ آخر تريد من قوله؟".

أومأتِ برأسكِ نافيةً بكذبٍ واضحٍ من عينيكِ البرّاقتين
ثمَّ هممنا بالرحيل

الصدمة!

أنكِ تَمَسِّكِ بِحَمَالَةٍ حَقِيبةٍ ظهري عندما قررتِ النهوض
أفِّ لكِ!

ألم ننتهي لتويننا وقلنا بأننا صديقين لا أكثر؟!
أم أنّ الأصدقاء يتصلون ببعضهم في أثناء سيرهم
كعاشقين؟!

تجاوزت اللحظة ولم أتحدث بها
 وبعد خطواتٍ قليلةٍ عدتِ إلى البكاء
 وسط ثرثرتي للتظاهر بنسيان ما حدث
 "كأنَّ شيئاً لم يكن"

- "ألم تقولي لي ذات يومٍ أنكِ الأثنى التي لا يكسرها ذكر
 ولا يُيكياها؟
 ماذا تسمين هذا البكاء؟
 لقد كسرتك مرتين، اعترفي!"

المرّة الأولى في شارع (الخراب)
 حينما تركتك تبكين وسط الشارع
 ورحت لأتبع نزهتي مع صديقي (ع.ر.خ)
 لقد كان أفضل منك في المجالسة
 على الأقل.. لا يتحدث عن المال من منظورك الثري
 مع أنه ثريٌّ أيضاً
 لكنه يعلم كيف يتحدث عن المال
 لقد أصبح ثرياً من كدِّ يمينه

لا من إرث موروثٍ جنى ثروته من عيش الإقطاعية
 في تلك اللحظة انهمرت عيناكِ دمعاً
 لم أكُ أريد ملاحظته
 لأنني كنتُ غاضباً
 غاضباً بسبب جحدكِ بي في موقفٍ ما
 لن أخبرك به
 دعكِ تتذكرين الماضي
 ربما تجدين ذكرياتٍ أخرى نسيتهُ ذكرها
 فنتألمين ألمين
 الألم الأول: عملية التذكّر البعيد
 والألم الثاني: الشعور بالذكري
 فكانت المرة الثانية هي التي كنتِ عليها
 في طريق العودة إلى اتحاد الفنانين التشكيليين

- "اخرس!" -

لفظتها بصوت خافتٍ ورأسٍ مُطرقٍ
 من شفةٍ تحاولُ رسم ابتسامة النصر.



الكابوس الوردى

لقد غفوتُ في الساعة الثامنة ودقيقة
 عندما كنتُ أكتب
 فقد كانت كثافة الذكريات تهديني
 كما يفعل خمر شفتيك اللوزيتين
 ولكن لم يذهب تأثير حروفك في مسح صورتك
 ولا حتى الرحيل
 لقد رأيتك في غفوتي تجلسين أمامي
 تنظرين إليّ كما كنت تنظرين إليّ عندما قرأتِ دفتر
 قصائدك للمرة الأولى

تبتسمين خجلاً
 تضعين خدك الأيمن براحة كفك الأيمن
 تغمضين تارةً ثم تفتحين
 أظنّ أنّ ما كتبته لك منذ الرابعة وسبع وأربعون دقيقة قد

أعجبك

كما أعجبتك تلك القصائد

وربما أبكتك كما أبكتك تلك القصائد أيضاً

لكنك أخفيت دموعك بمعالم الخجل

لم أفهمك كما لم تفهميني

وربما لم نك نريد أن يفهم أحدنا الآخر

فيؤمن به حبيباً

فلم أعلم أنّ الغزل أو الاعتراف يُذهب المعنى عن القاصد

"يا شربة الماء الحلوة في أوج المرار

يا سكرة الخمر في شفاه الأحرار

يا ورقة خضراء دامت لما بعد الاصفرار

يا أجمل جميلٍ جلى ما جنته الأقدار

أَلْقَيْتَنِي فِي يَمِّكَ كَأَنِّي مُوسَى
 وَأَنْتِ عَلَى عِلْمٍ بِأَنِّي سَاعُودُ
 حَارِبُ فِرْعَوْنَ حِظِي وَالْأَسَى
 وَلَمْ يَكُنْ فِي يَدِي إِلَّا الْعُودُ
 جَبْرُوتُكَ أَهْلَكَ مَنْ قَالَتْ: أَنَا أَنْثَى!
 لَوْ تَجَلَّى فِي دَاخِلِي لِأَزْدَدْتُ صَمُودُ

سَأَلْتُ سُؤْلِي فِي الْحَيَاةِ فَأُجَابِنِي:
 أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْأَسِيرَ لَا يُحَقُّ لَهُ السُّؤَالُ؟
 فَكَيْفَ تَسْأَلُ وَأَنْتِ سَجِينٌ قَلْبُهَا...
 رَغْمَ كِبَرِيَاةِكَ الْفَانِي بِهَا وَعَنْ غَيْرِهَا عَالٌ؟

أَصْمَمْتَنِي لِلْحِظَاتِ ثُمَّ نَظَرْتَ إِلَيْهِ بِاسْتِهْتَارٍ،
 قُلْتُ: لَا تَظُنَّنَّ أَنَّي ذَلِيلٌ يَا هَذَا!

إني أحيا الاستقلال

أرأيت أسارى في قلبها سواي؟

أرأيت سجيناً يريد بالحكم عليه أن يُطال

إني عشيقٌ لا يداري لا يبالي يا يخاف

لا يُسائل ولا يُسائل لما قيل وقال

امض يا سؤلي لمسألتي وسلها

عمرأً مديداً من راحة كفها على وجنتي تُطال"

"سمراءُ خمريّة أملت بالأبجدية

ذات هدبٍ سامريٍّ وعيونٍ نرجسية

ذواقٌةٌ محلّية عاشقةٌ للبنفسجية

هادئةٌ كالنسيم غاضبةٌ زوبعية

ريحانته في شذاها مميزة قمرية

فتانته ببساطة حسناء عذرية

سكوته كأنها حورٌ بحرية

ثوارة كأنها قيامة أرطغلية

غزافته لكل نهرٍ من كل الأودية

أيعقل أنني غريقٌ هذي البرمودية؟

فلم أك من قبل أرضى بكورا هندية

تلتفت حولي برهبة رومنسية

قد أكون شهيدها يوماً بنظرةٍ سحرية

فهنيئى برفاقي قبل أن ألقى المنتية

سَأشَاعُ وَأَشِيْعُ وَأَشِيْعُ إِلَى الأبدِيّةِ
سَأكون رمز الحبِّ في كلِّ مسرحيّةٍ"



الحبيبان مانديلا

الساعة التاسعة وخمسة وعشرون دقيقة
 استيقظت متأخراً بعد ذلك الكابوس الوردى
 لا أريد النهوض منه
 ولا العودة إليه
 ألم في رأسي
 وشعور مضطرب
 أشعر بالإعياء
 لكنني أريد أن أتحرر من فراشي
 فإن استسلمت في هذه اللحظة
 سأهلوس بك عندما ترتفع حرارتي
 لا أريد أن ألفظ اسمك ولو خطأً
 قاومتُ إلى أن رفعتُ رأسي من فوق وسادتي
 وانطلقتُ نحو المغسلة لتوقظني المياه الباردة
 في كانون الأول البارد

لم تكن هذه المرة الأولى التي أصل فيها متأخر
فقد تأخرتُ من قبل في الاعتراف لكِ في رغبتى ببقائنا
معاً

لم أقل لكِ حتى أنني أحبك
كنتُ أريد البقاء
لقد كان ينتابني شعورٌ بالرفض من قبل أن أفكر حتى في
إخباركِ

لكنه جنون العاشقين!
وليكتمل خذلاني كانت تختبئ بعض الأسرار في فكِّكِ
أردتِ إخباري بها أيضاً

وهنا بدأ نزال الأطفال بيننا فمِن سيتحدث أولاً
لأستسلم أمامكِ وأبدأ بالحماسة
أخبرتكَ أنكِ تشبهيني كثيراً
لماذا نرى أننا نشابه من نصادفهم وتقع في حبهم
وعندما نفترق نجد أنهم بعيدون عنا تمام البعد؟

لكيِّ فقير
أخبرتكَ أنكِ ستلبسين لباساً شرعياً

لكنك لا تقبلين
أخبرتني أنني أريد البقاء معك حتى النهاية ما دمت تريد
لكنك سكتي!

تهدت وبدأت في القتل
لم تملكي لساناً في ذلك اليوم بين شفقتك
بل كان سكيناً تطعن خاطري في كل حرفٍ تتلفظه
أخبرتني برغبتك في البقاء
وأنتِ معجبةٌ كثيراً بي
وأنتِ لا تستطيعين أن تمضي يوماً من دون محادثتي
لكن هناك شخص تقدم لخطبتك
شخص تعلمين أنني أكرهه أشدّ كرهٍ لفجوره وسطوته وعمله
اللاأخلاقي باسم الحماية والسلام

أراكما متشابهان:

هو يقتل الناس الذين يبغضونه بحجة أنهم يهددون سلامة
الوطن والمواطنين وأمنهم
وأنت تتجردين من ثيابك لترتاح روحك
متظاهرةً بالزهد لتحمي بسلامٍ من شرور الدنيا الفانية.

يا الله!

اقشعر بدني ودمعت عيني من نبالتكما أيها "الحبيبان
مانديلا"! _

لم أتوقع أن تقولي لي أنّ والدتك على دراية به
أو أنه ينتظر منك جواباً ليتقدّم إليك رسمياً
لكن حدث ذلك وتجرّأت على قولها
لقد كنتُ أعلم أنّ والدتك حسبما أخبرتني في يومٍ من
الأيام

عندما انتبهتُ إلى توطّد علاقتنا بيننا
أنّها لن تُعطي إحدى فتياتها إلا لرجلٍ ثريٍّ شريفٍ
يكون قادراً على إسعاد بنتها وأن يُحييها حياة مكلّةٍ

هل يمكن لسكّيرٍ مثله إسعادك؟
وهل لرجل عصاباتٍ يخبّئ خلف طيلسان القانون أن
يكون شريفاً؟
أم أنّ الغاية الحقيقية التي تريد والدتك الوصول إليها هي
الثراء وحياة الملكات فقط؟!

لا يمكنك أن تكوني سعيدة لو عشت حياة الملكات مع
 سكرٍ خسيسٍ ولو كان يبلغ ثراؤه نصف ثروة الأرض
 فالسعادة الحقيقية يا مَنْ تدعين السلام— هي في فهم
 الظرف الحياتي المتوقّر للمرء ومن أين ينظر لإيجابيته.

وسرعان ما ارتسمت على شفّتي ابتسامتي الخيفة،
 ابتسامة (الجوكر) الذي لم أعلم أنه مخيفٌ على أرض الواقع
 كما يخيف عند عرضه على شاشات السينما
 فرحت ترتقين قلبي بكلمات الأمل بأنّ كلّ شيءٍ سيكون
 بخير

وأنت ستفكرين في الاختيار ما بيني وبينه
 ستفكرين!

الكلمة التي تأملتُ ألاّ تطول كثيراً
 لقد أخبرتك سابقاً بالأّ تطعينني هذه الطريقة

"لا تُحْيِي فِي دَاخِلِي رَوْحًا لَتَقْتَلِيهَا فِي غَدِ
 وَابْقِي بَقْرِي إِلَى مَا بَعْدَ الزَّمَنِ السَّرْمَدِي
 فَقَدْ بَدَأْتُ الْخَوْفَ فِي اللَّحْظَاتِ الَّتِي فِيهَا تَبْتَعِدِي
 لَا تَحْرِقِينِي! اِرْحَمِي ضَعْفِي بَعْدَ تَمَدُّدِي
 شَيْدَتِي فِي كَالْقَلَاغِ وَلَمْ يَكُ فِي الْأَمْسِ سِوَى الزَّمَدِ
 لَمْ أَكُ بِقَلْبِ ذَهَبِي بَلْ كُنْتُ بِذِي حَجْرٍ أَسْوَدِ
 سَمْرَاءُ هَلْ لَكَ أَنْيَابُ الْغِيَابِ وَسَطْوَةُ الْأَسَدِ؟!

عَدَلُونِي بِسَمَارِكِ فَقُلْتُ لَهُمْ: لَا تَقْرَبُوا أَمْدِي..
 إِنَّهَا حَاكِمُ دَوْلَتِي وَبَسْقُوطُهَا أَعْلَنُ تَشْرِدِي
 هِيَ الْجَنْدِي الَّذِي أَحَارِبُ بِهِ كِبْنَدَقِيَّةً فِي يَدِي
 وَأَنَا الْمَأْمُورُ فِي حَضْرَةِ سَيَادَةِ سَيِّدِي
 أَنَا الدَّانِي الْمُبْتَعَدُ عَنِ حَلْمِ أَخْضَرَ وَرْدِي"

وتحقق أمني بعد أسبوع من ذلك الحوار
الذي انتهى بنزهةٍ مخدّرةٍ منك
وباحتساء القهوة والمشروب الغازي
هذان المشروبان اللذان لم يتفق أحدهما مع الآخر فيهما
لم أفصّل المشروب الغازي يوماً معك
فقد كنت أراه أسيداً لأمعاء البشر
ولم تجرّي القهوة يوماً معي
لأنك كنت تربيها مخصّصةً للبالغين
وأنت لا تزالين طفلةً صغيرةً تحلم بين ألعابٍ اشتراها لها
والدها

أتذكّرين عبوتي ال (بيبيسي) وال (سفن أب) اللتان
أحضرتهما إليّ في موعدين مختلفين ولم أشربهما؟
احتفظتُ بهما مع قطع الشوكولا التي كنت تُعطيني إياها
وتناولتهم يوم علمتُ بسفركِ
كان ذلك في اليوم التالي لوصولك إلى إسطنبول
تجمّد قلبي وسرحت عينايتي في الفراغ
ولم يشعّر أحدٌ بأنّي قد تأثرتُ لرحيلك

فقد قلتُ بلهجتي الباردة المعتادة:
 "إيه! وجدت حرّيتها، فلترحل بسلام"
 لقد شرّيتها منتهيتنا الصلاحية
 لعلّ صلاحيتي تنتهي أيضاً على هذا الكوكب
 لكن في كلّ شيءٍ خيرٌ
 لقد بقيتُ حياً
 وها أنا أكتبُ عنك اليوم في كتابٍ مخصّصٍ
 دون قصيدةٍ أو خاطرةٍ عابرةٍ لن يبقَ لها أثرٌ طويلٌ—



الغرق

عند لحظة الحقيقة كانت الصاعقة
 كان ذلك في أحد المعارض التي شاركت بها داخل مبنى
 عربي قديم
 يعود به التاريخ إلى العهد العثماني في أحد أحياء حمص
 القديمة
 التي يفوح منها البخور
 وتراتيلٌ ممزوجةٌ بآيات الإنجيل والقرآن
 وصدى مآذن تُكبر ودقات أجراسٍ كلاهما يدعو للصلاة
 هناك قاسمٌ مشتركٌ في جميع الديانات
 الصلاة...
 التي أرتأي في عصرٍ من العصور سيطلق عليها "تعصّباً"
 أيضاً
 ما دام التفكير المعادي للأديان ينتشر كالنار في الهشيم

كنا نلتقط الكثير من الصور الجماعية التي نوجد داخلها أنا
وأنت و أختك (سين)

لقد كانت (سين) بالنسبة لنا كالأخت الكبرى لكلينا
دائماً ما تعرف شيطنتنا وخططنا من نظرة واحدة
كانت تعرف ما إذا كنا متشاجرين أم متصالحين
كانت تعرف مزاحنا إن كان مزاحاً حقاً
أم أنه يحمل الكثير من الألغام لتفجير جهات بعضنا
لقد كانت عرّافة لكل شيء يدور بيننا تقريباً.

ولمّا دخلنا أنا و(سين) إلى أحد الغرف الكبيرة وجدنا
زاويةً جميلةً للتصوير
لم نرد أن نتواجد لوحدا دونك في صورة ما
فذهبتُ لأناديك
لكن المنظر الذي رأيتك فيه لم يجعلني أتنفس حتى
لقد أثبتت لي ما هو قرارك تجاهي في تلك اللقطة الدرامية
التي أصبح كل شيء من حولي بطيء ومشوش
كأن عيني صنعت (zoom) لرؤيتك فقط:

تضحكين من قلبك
 تتكئين برأسك على كتفه
 تمسكين بيده كأنك تعبرين نهراً بقدميك وتخافين الغرق

اطمأني!
 لقد كنت أنا الغارق لا أنتِ

"أظنّ أنّي قد غرقتُ في بحركِ

لكّتي فضّلتُ الغرق بصمتِ

لألا تشعري بموتي على شواطئكِ

فتشعرين بالذنب

لم أطلب التّجاة لأنّني لم أعتد على يد المساعدة

اعتدتُ على يد تسرق أحلامي من فوق الوسادة

خذيبي إلى برموداكِ الخاصِّ وأغرقيني
 لألاً يأمَل القنَّاصُ باقتناصي، واطركني
 أحتضر في حضرتك الحاضرة في الحضرتين

دعيني أموتُ بصمتٍ لألاً يسمع أعدائي صوتاً للشَّهاتة
 أو أن أئنَّ سهواً فتعودُ مشاعري الفاتئة
 لم أرد النِّجاة لأتني أردتُ إنهاء ضياعي
 أريدُ أسري... فالحريةُ فُجرت أضلاعي

وفاضَ فيض الحِمَمِ وأحرق ما في الأمم
 أعيديني أسيراً أبكم عن غير اسمك أصم
 لا يريد الهروب من سجنه لأنه بلا مأوى
 فصيريه آدمَ لكِ وصيري له حوًّا
 أو كوني قيامة رفاقي من بعد مماتي

أو نعشي إن حلت بين شفتيك رفاتي"

لم أستطع فعل شيء في ذلك الوقت سوى الركض

إلى أين؟

لا أعلم.

من أين؟

لا أعلم.

كيف؟

لا أعلم.

كل ما أعرفه هو أنه عليّ أن أركض وسط الزحام

لألا يراني أحد في مشهدٍ اختناقٍ

كأنتي كنت في حربٍ كيميائيةٍ تحوّلني إلى شخصٍ أزرق قاتم

اللون

ومن دون أن أرى الطريق ومن يحيط بي من حولي

وجدت نفسي في الخارج

وعلى ذكر الزحام:

اصنعي الزحام وحاربي داخله
 لأنك أن وجودي لك مهم
 انثري الجميع من حولي واقتربي
 فعلى جسدي آثار ألم

كوني عالمة التاريخ
 وادرسني تفاصيلي من قديم الزمن
 لتكتشفي كم مَرَّ بي
 حتى وصلت إليك بعد تجاوز المَحَن
 امحي التاريخ
 واكتبيه من جديد
 على جدران قلبك

لينبض تاريخي من جديد
في كل مرة يُذكر فيها اسمك"

لقد تأكدتُ من كلِّ شيء في ذلك المشهد

لقد نسيتُ أنّي دعوتُ صديقي (ع.١.٤) الذي كان قد
أتى في اللحظة المناسبة واصطدمتُ به

- "ما بك؟ هل تشاجرت مع أحد؟"

- "دعنا نمضي سأخبرك بكلِّ شيء في طريقنا، لكن دعنا

نمضي!"

- "هل انتهى المعرض؟"

وبصوتٍ صارخ:

- "لقد قلتُ لك دعنا نمضي من هنا الآن!"

وأسرعتُ في سيرِي كَأَنِّي ذاهبٌ لإيقاظ أحدهم يانعائش

رئوي

لم يتحدث ع.ا.خ طوال الطريق

لكن لسوء الحظ لم يكن يعلم به رضي

فرحتُ أضحكُ ضحكاتٍ متقطّعاتٍ وظنّ بأنّي كنت أمثلُ

عليه دور الغاضب

توقف قليلاً ثم قال:

- "هل تمرحُ معي؟ أيعني ذلك أنك لم تكُ تريدني أن

أرى حبيبتيك؟"

- "اخرس!

لم تعد حبيبتي!

لا أستطيع البكاء! أنا أبكي لكن...!"

رنّ هاتفي

إنها (سين)

يا إلهي!

- "خذ وتحدّث إليها، أخبرها أنه أغمي عليّ، وأسعفتني

إلى مشفى الهلال في (الغوطة)، ولا تدعها تأتي إلى

هناك".

حدث ذلك كما أردت

مضينا أنا و (ع.ا.خ) إلى نهاية شارع (الخراب) وأخذنا

كوبين من القهوة في طريقنا

أخبرته بكل شيء

لا أتذكر ما قلته حرفياً

لكنني كنت أتألم من ضحكتي أكثر مما أتألم من المشهد

الذي رأيته

في نهاية اليوم وعند الساعة الثانية عشر وخميس وعشرين

دقيقة وجدت رسائل منك ومن والدتك ومن سين

لم أستطع أن أرى اسمك

فأرشفته إلى حيث لا أدري أين سيقع

وقمت بالرد على أمك و(سين)

لقد كنت أعلم أنك ستعلمين بما حدث لي عن طريق

إحداهما

فلا داعي لأن تلوميني كما فعلتِ عندما التقيننا بعد تلك

القصة المصورة

لقد رسمتُ لوحةً عن هذا المشهد الذي رأيتك فيه

لقد أعجبت أصدقائي فأطروا عليها

لم يعلموا أنها ذكرى أليمة من ذكريات ماضي السقيم معك

فأهديتها لأحدهم



التأخر

كان رحيلي عنك هو التأخر الثاني الذي لم أكن مبكراً به
لا أعلم ما سر ذلك
جميع من أنها علاقاتهم قالوا القول عينه
" لقد تأخرت في الرحيل "
هل هو (مترو) يأتي في أيام محددة لا يسع كثيراً من
الأشخاص
فيبقى بعضهم ويركب بعضهم
ثم يندم الباقون على رصيف الانتظار
ويندبون إلى حين موعد الرحلة التالية؟

ربما كانت مقولة "التبيل بعد الصبر" هي أداة الجريمة التي
يرتكبوها العاشقون بحق أنفسهم!
وربما كانت الإهانة في هذه المواضع هي لذة المازوخيين!
وقد تكون الأسرار التي تتبادلها هي القيد الذي يقيدنا

خوفاً من الفضيحة
 أو إنشاء الأكاذيب عليها!
 وفي جميع الأحوال
 هناك مدّة من الزمن الفاتر الخائف
 لا إقدام فيه يكون تمامه
 ولا تراجع فيه يكون تمامه
 إنها مذلة العشق الدنيوي
 التي تغرس محالها في قلوب فرائسها
 لتقتلهم ببطيءٍ شديد
 لا يتزعزعون من مكانهم
 ولا يموتون من فورهم



العطر

وصلتُ إلى عملي في العاشرة والثمانية عشرة دقيقة

نسيئُ أن أُخبركُ _ بالمناسبة _ أنّي أعمل قرب منزلكِ
الذي استأجرتموه في (حي الوعر)

لقد تنفّستُ عطرِكِ في أول يومٍ وصلتُ فيه إلى العمل
لقد تغلّغتُ كل ذرّةٍ استنشقتها إلى أدقّ الخلايا في
جسدي

- " لا يا ربي! لا تعدّها إلى قلبي."

اقشعر بدني!

كأنّي أشتم رائحتك لأول مرة
مع أنّي كنت أشتمها من أخريات أصادفهن في الطريق أو
في الميكرو أو الباص

لكن لم يلق بهنّ
كما كان يليق بكِ
وكأنه صنَع لأجلِك فقط

تدافعتُ الذكريات في رأسي
كجَمعٍ من الفقراء على باب مركز المساعدات الدولية
زحامٌ وصرخاتٌ ماضٍ
وذكرى داس أحدهم على قدمها فصرختُ
ولم يُعر لها أحدٌ اهتماماً،
ورجلٌ يقف على باب التسليم يأمر الجميع بالتراجع
والآن يستلم أحدٌ حصّته من الدعم

أيّ حصّة هذه؟
وأيّ دعمٍ في استرجاع مشاهد القتل البطيء؟
لو كنتُ بين جموع الذكريات تلك
لرُميتُ بطاقة الاستلام
وخرجتُ من بينهم بسلام
فالموت من الجوع إن لزم الأمر
أشرف من الموت في وهم الماضي

تذكّرتُ رحلة الغابة الجماعية
تذكّرتُ وجبة العشاء عند (تنكاي تشكن)
تذكّرتُ عودتنا في أحد الأيام إلى منزلك في الساعة
التاسعة مساءً

لقد كان يوماً مميّزاً حقاً!
فلقد ذهبْتُ لإحضارك من العمل في الساعة الرابعة
وانطلقنا بعدها لنحتسي (السلاش) في شارع الدبلان
وجلسنا في زاوية منزلٍ قديمٍ لأغني لكِ

- "صوتك يشبه صوت وائل جسار"

هههه أقسم بالله أنّي لا أزال أضحك على هذه العبارة كلّما
تذكّرتها
"وائل جسار!"

لـيكن بعلمك أن صوتي الآن أصبح يشبه صوت
"مسلم" المغني المصري و "بيغ سام" المغني الفلسطيني
ومع الفارق الشاسع بينهما

إلا أنني استطعت الوصول إلى مقدرتهما في الأداء—

وبعدما انتهينا وقررت العودة إلى المنزل
أخذتك من شارع (الخراب)
ليكون الطريق إلى منزلك أطول
مع أنني كذبتُ عليكِ طوال الطريق وأنا أقول لك:

- " لقد وصلنا

انظري إلى جامع (الرئيس) إنه قريب!

انظري ها هو بناؤكم!"

ومضى الطريق يطول ويطول
لقد كانت المرة الأولى التي أفرح فيها لتأخري عن الوصول
إلى غايتي.

كانت والدتك تتصل بك كل ربع ساعة
وأنت تكذبين مثلي:

- " لقد وصلت، أنا في الحي "

وليكتمل الفيلم...

لم يبقَ على ما أظنَّ أحدٌ نعرفه إلا وقد رأيناه في ذلك
اليوم

وخاصَّةً في شارع (الخراب)

كأنَّ حمص وضواحيها أرادت التنزّه فيه في ذلك الوقت

أذكر أيضاً عند وصولنا إلى حي (الوعر) ذهبت لتشتري

بعض الأشياء للمنزل

وكلما دخلنا محلاً تقولين لصاحبه:

"إنه البيست فريند"

كم كنا نمزح مع أصحاب المحلات وألقي بالكلمات العابرة التي

تخرج على هيئة نكتة تُضحكك

لقد كنّا تافهين للأمانة



الاحترق

تأخرتُ ثمانية عشرة دقيقة
 وليكتمل سعدي يومها...
 كان صاحب العمل موجوداً في المحل قبلي
 لم أرد يوماً أن أريه إهمالي لعملي
 ولم أتقصّد ذلك الغياب
 كنت أقف في زاويةٍ أنتظر رحيل زبونٍ يقف بقربي
 رحتُ أفكّر:

"- ما هذه اللعنة التي أتحدّثُ عنها منذ الصباح؟
 -لماذا لم أكتب عنها كلّ هذا الوقت؟ وحينما أردتُ
 الكتابة عنها سأطردُ من عملي؟
 تنبأ لها! لا تأتي إلّا بالشؤم والخيبة."

وما هي إلا دقائق حتى غادر ذلك الزبون ومضت الأمور

على خير
ولم يتحدث صاحب المحل بشأن تأخري

جلستُ لأعمل على الجهاز الحاسب
لأدهش بتاريخ اليوم!
إنه السابع عشر من كانون الأول
أي مضى على آخر عيد ميلادٍ لي معك سنتان وخمسة
أشهرٍ بالضبط!
ومضى على آخر عيد ميلادٍ لك معي ذاتهم إضافةً إلى
خمسة عشر يوماً
يا إلهي!

ولتكتمل الصدفة...
لم أكن أرتدي حقيبة ظهري في هذا اليوم
حقيبة ظهري الفيروزيّة اللون
التي أهديتني إياها في عيد ميلادي الثاني والعشرين
مع دفتر (موزاريك) وقلم حبرٍ ثمين
وكانت أول هديّةٍ تأتيني في عيد ميلادي

لقد أحرقت جميع الذكريات التي أتتني منك ومن غيرك
 من الفتيات اللواتي قابلتهن في لحظة خيبة أثبتتها لي
 المعنوية بكتاب (رسائل زرقاء) عندما اكتشفتُ كذبتها بعد
 ستة أشهر

لقد احترق كل شيء
 كل هدية وكل ذكرى بسيطة
 الشال الأسود الخاص بالملفيا
 قلم الحبر الموضوع بعلبة مملية
 دفتر (الموزاريك) الصغير
 تذاكر الباص التي كانت مهد رسائلنا
 أغلفة البسكويت التي تناولناها معاً ولم نرهما في الطريق
 اللوحات التي رسمتها لأجلك
 ولم ينبج من غضبي سوى تلك الحقيبة التي لا أزال أرتديها
 عند خروجي من المنزل
 لقد أصبحت حقيقتي "سمرائي الفيروزية" —

ربما لأننا كنا سرطانين

يفهم أحدنا الآخر تمام الفهم لذاته

في ذلك اليوم كتبت لك:

«كجئتُ تُخلدني فيها

أمشي فيها وإليها وعليها

أكلُ من خيرها

وأشربُ من عينها

لا مخرج منها

ولا ملاذ إلا إليها

أعلمتم لماذا أحيتها..

في قلبي دون سواسيها؟

هي التي أحلم فيها

وفي حزني آوي إليها

مَنْ يَضْمُدُ جِرْحِي إِلَّا يَدِيهَا؟

أَوْ يَعْلَمُ مَا بِي كَقَلْتِيهَا؟

هِيَ نَبْعُ حَنَانٍ

لَوْ فَقَدَتِ الْأُمُّ وَذَوِيهَا

هِيَ الْأَخْتُ الْحَنُونُ

الَّتِي تَرَعَى أَخِيهَا

هِيَ الْأَبُ

فِي مَهَبِّ الصَّعَابِ تَرْدِيهَا

هِيَ الْأَرْضُ بِكُلِّ خَيْرٍ فِيهَا

هِيَ السَّمَاءُ بِكُوكِبِيهَا

هِيَ النُّجُومُ وَالْأَجْرَامُ وَتَابِعِيهَا

هِيَ الْكُونُ بِدُرُوبِهِ

وَالْمَجْرَةَ بِمَا تَحْتَوِيهَا

هِيَ أَنَا وَلَا أَنَا إِلَّا ...

منها وبها وفيها واليها"

لم أقرئكِ إياها فقد استشقيتُ الرحيل بعد مدّة
لقد وجدتُ نفسي أدلّ
وهذه سُنّة الكون!
أو عقابُ الله في الأرض!
لا أعلم ما اسم هذا النوع من التعذيب بالتحديد
لكنه محتومٌ على من يفرطُ في عشق مخلوقٍ فإن
أو يجعل منه عبادةً دون العبادات التي فرضها الله
صحيحٌ أنّ في الإحسان عبادةً
لكنّها حرّماثُ الله
القبلة!
الصوم!
الصلاة!
السعي!
الصفاء والمرورة!
الكعبة!

الشهادة!

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
[سورة الأنعام: 71]

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [سورة الحج: 30]

كان لا يجب عليّ أن أضعك موضعهم
ومن يعترُّ بغير الله يُدَلِّ



الصدفة

أعلنتُ توبتي عن حبِّك
 وعدتُ إلى رُشدي
 لم أشفَ من مرضي إلى وقتٍ متأخِرٍ
 شفيتُ بعدما أحببتُ أنثى غيرك
 ولقد قرأتِ ما كتبتُ عنها
 عندما أرسلتِ لي رسالةً غير مباشرةٍ مع (نون)

(نون) الصديق المشترك صدفةً
 وعرفتي صداقتي بها عندما التقينا صدفةً أيضاً في أحد
 دروس الرسم
 لم يعلم أحدٌ يوماً أننا كنا حبيبين سابقين

”كم كنا ناراً وجمراً مشتعلين

كم كُتِّنا وقود أيامِ وسنين
 كم كُتِّنا بأئسين ضاحكين
 كم كُتِّنا نسخر من تفاهاتنا متضاحكين

كم مررنا بسوءٍ وعدنا خائبين
 وهزئنا من ممراتنا متابعين
 كم كُتِّنا قبضَةً دون اثنتين
 كم كُتِّنا كجلمودٍ غير مبالين

وفي نهاية مطافنا عدنا غريبين
 كلانا في لقاءاتنا باردين
 أصبحنا باهتماماتنا غير مبالين
 أصبحنا بأنفسنا غير مهتمين

نسعى إلى البعد زاحفين
وكأننا من ذواتنا مهاجرين
كم صرنا بألسين زاهدين
مشمأزين من بعضنا متنافرين

انتهينا ولم نكُ للنهاية حاسبين"

لقد كانت ملامحك سريعةً في التعبير عن صدمتك في
رؤيتي للمرة الأولى
بعدما هجرنا بعضينا
فلقد هجرنا من دون أي إنذار
لكن سرعان ما أتمننا دروسنا دون أن يلحظ أحدٌ معرفتنا
السابقة لبعضنا
لم نتحدّث في تلك المدة سوى مرةً واحدة
كنت أجلس فيها على درجٍ حجريٍّ أمام باب الغرفة التي

ندرس فيها
 وأتيت من أممي مرتبكةً
 سألتني عمّا أفعله!
 وقد كنتُ أكتبُ شيئاً من الكتاب الذي قرأته عن تلك
 الفتاة
 فقلت لك بلهجة العوام:

"أستشعر"
 أي أكتب الشعر

وانتهى الحوار

ولتكتمل الصدفة!...
 التقطنا صورةً جماعيةً في عيد ميلاد مدرس الرسم
 وكنا نقف دون أن نتبه لوقفنا
 يميل أحدهنا بجسده نحو الآخر
 آه!
 تباً للصدف الحمقاء!

وتمّ كلّ شيء حينها على ما يرام
ولم يعد أحدها يرى الآخر بعد حضور عزاء مديرة المركز
الذي درسنا فيه _لروحهما السلام_.



إسطنبول

لكن من شدّة غبائك ربما
 أو من شدّة شوقك لي
 أو من شدّة كرهك لي
 سألتِ (نوناً) عن معرفتي بها
 ومن سؤالٍ إلى آخر أخبرتها بكلّ شيء
 لم أعلم بذلك إلا عندما أوصلت إلي رسالتك من
 إسطنبول

"أول شيء سلميلي عليه وقوليلو قريرت كتابو امبارح
 وعجبني وانو الله يوفقو بكشي بيعملو ويضل بخير"

كانت كلماتاً قليلةً كفيلاً بأن تعيدَ عاماً عشتُهُ معكِ بأصغرِ
 تفصيلٍ حدثٍ بيننا

لم أرسل لك ردّاً في ذلك اليوم
كل ما فعلته هو أنّي شكرتُ (نوناً) على إيصالها للرسالة
فقط

لم أرد أن أشكركُ بعد كلّ ما فعلته بي
أو ربما فعلته بنفسِي.

وصدفةً أخرى تجعلني أفقد صواي من طيفك العَبَثِي
رأيت في اليوم التالي فتاةً تشبهك في كلّ شيءٍ
عدا عيناكِ
يا إلهي!

كنتُ أقف أبيع بعض الزبائن
لتنصب أممي (ميمي)
كأنّها مارِدٌ خُلِقَ على غفلة
وسألني سؤالاً لا أذكر ما هو
وبقيتُ شاخصاً أنظر إليها

نبرة الصوت ذاتها!

البشرة ذاتها!

الطول ذاته!

الشعر!

الأكتاف!

الملامح!

النظرة ذاتها!

ذاتها التي قتلني في المرة الأولى!!

إنها (ميمي)

لماذا أقول (ميمي)؟

هي (ميم) من دون ياء النسبة

لكن أظن أنّ هناك بقايا منها قابعةً في داخلي تناديا

وأظنّ أنّه شيءٌ من تاريخ قلبي اللعين في الحب —

لم أنتبه في لحظتها لفارق العيون

لأنه الفارق الوحيد بينكما

أشارت تلك الفتاة بيدها في وجهي محاولةً إيقاضي من

سهوتي التي سهوتها أمامها

لم أملك جواباً

لأنتي لم أسمع السؤال أساساً
 هنا تذكّرتُ أنكِ سافرتِ إلى إسطنبول منذ عام
 لم تكن تلك (ممي)

قلت لها:

"تكلمي مع ذلك الشاب هو يعلم ما تريدين".

وأشرتُ لها إلى أحد العاملين الذي لا أذكر من كان هو
 في تلك اللحظة

خرجتُ من خلف الصندوق ك(زومي) متجهاً نحو الباب
 أريد الخروج فقط
 لا أعلم إلى أين؟
 ولا لماذا؟
 ولا أملك تبريراً!
 أريد الخروج
 أريد الخروج من جسدي إن أمكن ذلك
 ففيه عضلةٌ تعترضه وتؤلمني

وبعد عددٍ من السجائر التي لا أتذكرها عدتُ إلى الداخل
 لا أحد يعلم لماذا صنعتُ هذا!
 ولا حتى الفتاة التي كانت أمامي
 ولا الشاب الذي كان يراقبُ من بعيد
 كان هناك شيءٌ غريبٌ يحدث
 كأنَّ الأرض توقفت عن الدوران حول نفسها
 واتخذتُ رأسي لتستمر في دورانها
 ارتفعت حرارتي وقلَّ تركيزي
 بل انعدم تركيزي

أذكر أنني لم أعد أستطيع جمع ١٥٠٠ مع ٢٥٠٠!
 أين ذهب الـ ٤٠٠٠ من في ومن ذهني؟

وبعد ليلةٍ قضيتها في التفكير في إيجاد حلٍّ لصدفك هذه
 قررتُ أن أنتقم منك بالفتاة
 سأظاهر بحبِّها
 سأخرج معها
 سأجعلها تتعلق بي
 لن أشي لها بأسراري

وعندما تصل لأوج حبّها لي..

سأتركها

لألا تُعيد ذكرياتك إليّ بعدما نسيتها

لكن لحظة واحدة!...

ما ذنبي في أخطائك؟

لا أريد أن أظلم المزيد من الفتيات

لقد اقترفت الكثير من الأخطاء في حياتي

وأنا بأمس الحاجة إلى المغفرة والرحمة من الله

لا داعٍ لكلّ هذا السيناريو الأمريكيّ الرومنسيّ

سأتجاهلها..

لربما ترحل كارهةً لي

فلا تفكّر في الإقتراب

لكن حدث العكس

أحبّبت جفائيّ الذي رأته اتزاناً

وأحبّبت مظهريّ الذي أعدته إلى سابقه بعدما طلبتِ

تغييره

حلقت شعريّ بموس الحلاقة وأطلت لحيّتي

لقد كان كلّ شيءٍ يجذبها
 لم تكن تريد تغيير شيءٍ كما أردتِ
 ماذا أفعل؟
 لا أريد تكرار الماضي بروحٍ أخرى!



الهروب

استمريتُ في الجفاءِ مع كلِّ المحاولات التي حاولتها (دالّ)
 في الإقتراب مئّي
 لقد أخبرتني باسمها بداعي الحديث التمهيدي للتعارف
 كان من الصعب مقاومتها
 مثلكِ تماماً!
 لكّتي كنتُ أصدُّ محاولاتها...
 وقلبي يرتجفُ راعباً في العودة إليك عن طريقها
 تبا لهذا الصراع!
 القلب والعقل
 أحدهما يريد والآخر لا يريد
 والإنسان هو الحكم بينهما
 وأيّاً كان حكمه
 سيؤلمه أحد الطرفين عندما لا يختاره
 كأنّهما طفلان صغيران

كلاهما يريد الحلوى ولا يوجد إلا قطعة واحدة
 ولا يريدان تقاسمها أو أن يستغني أحدهما عنها للآخر
 فتقوم بإعطاء الحلوى لأحدهما ليبيكي الثاني
 ثم تقضي وقتاً ترتب به على كتفه ليهدأ قليلاً إلى أن
 يسكت
 وكلما ذكرت الحلوى أمامه
 تذكّر بكاءه
 وهكذا تُعاد الكرة مرّاتٍ أُخر

استطعتُ اسكاته عندما كنت أدرس في أحد المراكز
 التعليمية ورأيتك في أخرى
 يا لتعدادك الذي لا يتنهي!

لماذا لم تأخذيهنّ معك إلى إسطنبول؟
 أم أنّك تريدن المزيد من الألم لي دون أن تؤلمك رؤيتي؟

لقد استطعتُ تجاوز (فأء) التي تشبهك بعض الشيء
 هناك فارّق في الحجم قليلاً
 لكنّ الشعر والبشرة وملامح الوجع دون العينين كانت

متطابقةً معك تماماً

لقد أسكتت قلبي الصغير
 لكن هذه المرة لم آثم بالتربيت على كتفه
 بل بخنقه
 لقد جعلتُ (دالاً) ترتدع عن محاولاتها
 ويأسئ مَيّ لشدة ما حَنَقْتُ بقلبي
 لكن لا تزال صورتها الألم الذي يصيب عقلي
 كأنّ قطعة الحلوى التي أعطيتها لعقلي ليسكت...
 أصابته بالإسهال!
 كلما أبعدت (فاء) ظهرت (دالاً)

انتهيتُ من (فاء) على خيرٍ بانتهاء المنهاج الدراسي لدورة
 التدقيق اللغوي

مضى عامٌ ونصفٌ وأنا أرى فيه (دالاً) من وقتٍ إلى آخر
 لا أحاديث تدور بيننا
 لا اتصال
 لا شيء يمتُّ بالحبِّ أو الوصل بصلة

لقد كان كل شيء رسمياً

غابت (دالّ) ما يقارب الأربعة أشهرٍ في آخر عامٍ ونصفٍ
لها

لم أفتقد غيابها

على العكس

كنت شاكرًا لله على نعمة النسيان المرئي لملاحظها
طبعاً الحمد لله على كل حالٍ من الأحوال
إلى أن رأيتها البارحة...

يا إلهي!

شعرْتُ وكأني أراها للمرة الأولى

كان الجو بارداً ضبابياً

لكن جسدي ينتفض حرارةً

لا أدري من أين أتت كل هذه الحرارة على غفلة

كانت تنظر إليّ ظناً منها أنني لم أنتبه

ثم تعيد نظرها إلى البعيد ما إن ألتفت إليها

"الحمد لله أتى الباص!"

قلتها في نفسي لأصعد على عجلةٍ
 لأخلف ورائي دفء تلك اللحظات
 لأمضي دون أن ألتفت إلى شوقِ أهلكِ عقلي
 وفتنكِ قلبي!

كُتبتُ كثيراً من السيناريوهات التي ستدور بيني وبين
 (دالٍ) لو تجرأتُ وأقدمتُ على مصارحتي بإعجابها
 سأكون لطيفاً لأحصل على ما أريد منها
 مال، نزه مجانية، هدايا...
 لحظة!

لقد تغيّرتُ عن ماضيِّ الدنيءِ
 لن أقوم باستغلالها كما فعلتُ مع البقية
 سأصبح كما لو أنني حكيمٌ صينيٌّ يعظ تلميذاً
 لا!

الفنيات الثريّات لا يجبن الشاب "المتفلسف"
 إذن سأحدّث معها بلهجةٍ جدّيةٍ
 وسأقول لها أن تغادر بسلامٍ لألا تأذي أو تؤذي
 سيكون صعباً عليها ذلك

فأشدّ شيءٍ على الأنتى قيامه هو اعترافها بجبّها
فكيف لو تلتِ تلك الشدّة رفضاً؟!

سيكون كارثياً لنفسيتها
وأكون بذلك خلّفتُ ورائي ضحيّةً أخرى
سأنتصّع أيّ لم أسمعها ولم أنتبه لوجودها
فأكثر شيءٍ يُبغضُ الأنتى هو التّجاهل
سترحل مباشرةً عندما تتكلّم إليّ دون أن أعيرها اهتماماً
سأكون فظاً!

لا أريد أن أبدُ سيئاً إلى هذه الدرجة

سأغلق ستارة النصوص التي أكتبها
فقد ركبْتُ الباص وأصبحتُ بعيداً عنها
لن يحدث شيءٌ مما ذكرت

كانت الساعة السابعة وخميس وثلاثين دقيقة
وصلتُ البيت بعد ثلاثٍ وعشرين دقيقة
شعرتُ بأنها دقيقتين
فقد كان رأسي يشتعل بالذكريات
تناولتُ الطعام فور دخولي إلى المنزل

لكنني لم أشبع

قمت جائعاً

لا أعرف ماذا يريد جسدي ليرتوي

ونمت قرابة التاسعة إلا ربع مساءً

ربّما أحتاج إلى النوم كثيراً

وربّما أحتاج إلى الكتابة أكثر

فاستيقظت في الساعة الرابعة وسبع وأربعون.



سقط الوداع

كنتُ مُحَرِّمًا حَبِّكَ،
 فتوضأتُ من غيثِ السَّمَاءِ طَهَارَةً
 من رجسِ البشرِ
 ولففتُ نفسي بجَدَائِلِ شعركِ؛
 لأَسْتُرَّ عَارَ الفشلِ السَّابِقِ الذي بَانَ على جسدي؛
 ورُحْتُ أَطُوفُ حَوْلَ قلبِكَ
 مُرْتَلًّا أَنَا شَيْدَ كَتَبْتُهَا لِكَ
 — لا امْرَأَةً تُشَارِكُكَ بِهَا —
 فنَادَيْتُ:

"لبيك يا حَبِّي لبيك"
 لبيك لا شريكَ عَلَيَّ فيكَ

إِنَّ الْغَرَامَ وَالْهُيَامَ لَكَ وَالْحُبَّ

لَا شَرِيكَ عَائِي فِيكَ"

انتهيتُ من طوافي،

وانطلقتُ أُصَلِّي في حِجْرِكَ بَاكِئاً،

وتابعتُ سَعْيِي بَيْنَ هَدْيِي عَيْنِيكَ.

وعندَ الرَّمِي...

رَمَيْتَنِي عندما كُنْتُ أُرْمِي مَنْ يُعَادِيكَ

فكَانَتْ دَلَالَةً عَلَى رَفْضِ حَجَّتِي إِلَيْكَ

فَسَقَطَ الْوَدَاعُ عَنِّي

وَعُدْتُ عَرِيْباً أَلْحِدُ الْحُبَّ فِيكَ



الفهرس

مقدمة	5
شكر	10
اعتقاد	12
المتعصّب	16
اعتراف	22
شكراً للفقير	34
لو!	37
الجوكر الشرقي	42
أبكي بقهقهتي	49
الكابوس الوردى	59
الحبيبمان مانديلا	65
الغرق	73

التأخر.....	84
العطر.....	86
الاحتراق.....	91
الصدفة.....	98
إسطنبول.....	103
الهروب.....	110
سقط الوداع.....	117
الفهرس.....	119

سمرَاء في إسطنبول

لقد كنت في نظرك متعصبا يحاول التحرر..
التعصب..

الكلمة البغيضة التي اختلقها القوي العظمى على كوكب
الارض، لتنفي أي حالة انحياز اسلامية وتُبطلها بمظهر الكلمة
هذه وكأنها دليل على استخدام المعتقد دون العقل والإنصاع
له دون تفكير.

لم يعلموا أن المسلم الحقيقي هو الذي لاسلم بعد أن أكثر
التفكير .

فوجد الخير في الاحكام الشرعية، ووجد الله في كل مكان وزمان
ومخلوق.

عن المؤلف

كاتب سوري من مدينة حمص في سوريا.
بدأ في كتابة النثر في سن الحادية عشرة وتابع
مسيرته إلى أن تعلم كتابة المقالات والقصص
القصيرة والروايات.
حاصل على شهادة في إدارة المشاريع الصغيرة.
حاصل على شهادة TOT اعتماد وزارة التنمية
البشرية في سوريا.

شارك في العديد من الكتب المشتركة
مثل: كواليس نفس - أبجدية الأدب



901234567